# جنَّات

أ. منى محمد الشوا

**ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء:**

**لا يوجد بين المسلمين مَن لم يسمع بـ "الجنة" أو"الجنات"، فمنذ نعومة أظفار أطفال المسلمين تعوَّدت الأمهات الترغيب بـ "الجنة"،حتى بات بعض الآباء والأمهات يطلق اسم "جنة" أو"جنات" على المولودات الجديدات حديثات الولادة،فالقرآن المجيد والحديث الشريف تحدَّثا عن "الجنة" في غير موضع، وسأبدأ بهذا البحث بقوله تعالى:**

**{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة: ٢ / ٢٥**

**في عصرنا الحالي يتوهم بعض الناس أنَّ الآية الكريمة تعني أنَّ الله يُخبرنا أنَّ المؤمنين الذين سيدخلون الجنة حين ينالون من ثمار أشجارها سيكتشفون أنها هي نفس الثمار التي نالوا منها في الدنيا،وسيقولون: إنها نفس الثمار التي قد أوتيناها من قبل، لأنهم سيجدون تلك الثمار شبيهةً بالثمار الأولى.**

لكن بماذا ستكون الإجابة عن معنى قوله تعالى:

{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} السجدة: ٣٢ / ١٧

قال ابن كثير في تفسيره:

وصف الله الجنة بأنها تجري من تحتها الأنهار،كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة،ومعنى تجري من تحتها الأنهار، أي: من تحت أشجارها وغرفها،تجري من غير أخدود،وجاء في الكوثر أن حافتيه قباب اللؤلؤ المجوف،ولا منافاة بينهما،وطينها المسك الأذفر،وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر.

أنهارالجنة تفجر من جبل مسك.

إنهم أتوا بالثمرة في الجنة،فلما نظروا إليها قالوا: هذا الذي رزقنا من قبل في دار الدنيا.

معناه: مثل الذي كان بالأمس،يقولون: ما أشبهه به.

قال ابن جرير: وقال آخرون: بل تأويل ذلك هذا الذي رزقنا من ثمار الجنة من قبل هذا ؛ لشدة مشابهة بعضه بعضاً يؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء،فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيقول: هذا الذي أوتينا به من قبل. فتقول الملائكة: كل،فاللون واحد،والطعم مختلف.

عشب الجنة الزعفران، وكثبانها المسك.

يطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها ثم يؤتون بمثلها، فيقول لهم أهل الجنة: هذا الذي أتيتمونا آنفا به،فيقول لهم الولدان: كلوا،فإن اللون واحد،والطعم مختلف.

يشبه ثمر الدنيا،غير أن ثمر الجنة أطيب.(١)

وفي تفسير قوله تعالى في الآية الثانية قال ابن كثير:

"فلا يعلم أحد عظمة ما أخفى اللّه لهم في الجنات ،من النعيم المقيم ، واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد."(٢)

إنَّ المفكِّر العاقل الذي يتدبر الآيات القرآنية ويعقل مفاهيمها لا يرضى ولا يقبل إلا أنْ يبحث عن حلقة تربط وتعقل بين التفسيرَيْن،وإلا وقع في تناقض بيِّنٍ وجليٍّ ،وبعد الإمعان في الفكر والتدبر والاستنتاج فإنه يتبين أنَّ المعنى المقصود هو: إنَّ نِعَمَ العالم الثاني هي غيرُ ما في هذا العالم، وإنما تشترك مع هذه في الاسم فقط،وبأنَّ الله سبحانه وتعالى قد وصف لنا جميع نِعَم الآخرة بأنها مخفيّة عنا،لا مثال لها في النعم الدنيوية،والواضح أن نِعَمَ الدنيا غير خفية علينا، فإننا نعرف اللؤلؤ والجوهر، والمسك،والفواكه.....

نعم أستطيع القول بثقة تامة دون الخشية من أي تناقض أو اعتراض: ليس المراد هنا نعيمَ الدنيا.

اللَّه تَعَالَى أَعَدَّ نَعِيمَ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى نَحْوِ مَا أَلِفَتْهُ أَرْوَاحُهُمْ

قال ابن منظور:

جنن: جن الشيء يجنه جناً: ستره. وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك.

جن عليه الليل ؛ أي: ستره،وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ؛ ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه.

الجنة: البستان،ومنه الجنات،والعرب تسمي النخيل جنة.

الجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة ،من الاجتنان، وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها. (٣)

وانطلاقاً من المعنى اللغوي لـ" الجنة الذي سميت به إما تشبيهاً بالجنة في الأرض، وإما لسترها نعَمَها عنَّا واستناداً إلى كلام ابن عاشور: " ثِمَارَ الْجَنَّةِ مُتَّحِدَةُ الصُّورَةِ مُخْتَلِفَةُ الطُّعُومِ. وَوَجْهُ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَشْكَالِ فِي الدُّنْيَا نَشَأَ مِن اخْتِلَافِ الْأَمْزِجَةِ وَالتَّرَاكِيبِ فَأَمَّا مَوْجُودَاتُ الْآخِرَةِ فَإِنَّهَا عَنَاصِرُ الْأَشْيَاءِ فَلَا يَعْتَوِرُهَا الشَّكْلُ وَإِنَّمَا يَجِيءُ فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الشَّكْلُ الْعُنْصُرِيُّ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَعْجِيبًا لَهُمْ وَالشَّيْءُ الْعَجِيبُ لَذِيذُ الْوَقْعِ عِنْدَ النُّفُوسِ وَلِذَلِكَ يَرْغَبُ النَّاسُ فِي مُشَاهَدَةِ الْعَجَائِبِ وَالنَّوَادِرِ. " (٤)

وبناءً على تفسير ابن جرير الطبري: حدثني أبو كريب، قال: حدثنا الأشجعيّ وحدثنا محمد بن بشار، قال، حدثنا مؤمَّل، قالا جميعًا: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي ظَبْيَان، عن ابن عباس - قال أبو كريب في حديثه عن الأشجعي: لا يشبه شيءٌ مما في الجنة ما في الدنيا، إلا الأسماء.

وقال ابن بشار في حديثه عن مؤمل،قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

حدثنا عباس بن محمد، قال: حدثنا محمد بن عُبيد، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء.

حدثني يونس بن عبد الأعلى قال: أنبأنا ابن وهب،قال: قال عبد الرحمن بن زيد، في قوله: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} ،قال: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا، التُّفاح بالتفاح والرُّمان بالرمان، قالوا في الجنة: {هذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ} في الدنيا، {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} يعرفونه، وليس هو مثله في الطعم. (٥)

يتَّضح أنَّ التشابه بين الموجود في الدنيا والآخرة هو الأسماء: مثل: من تحت أشجارها وغرفها،تجري من غير أخدود،حافتي الكوثر قباب اللؤلؤ المجوف،طين الجنة من المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر أنهار الجنة تفجر من جبل مسك ،يؤتى أحدهم بالصحفة...،عشب الجنة الزعفران،وكثبانها المسك،ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها ثم يؤتون بمثلها.... إلى غير ذلك من الأسماء المستعملة في الدنيا.

وفي الحقيقة أنَّ نعَمَ الجنة تختلف كل الاختلاف عن حقيقة النعم الدنيوية،ولو كانت هناك جنات وأثمار وأنهار وأزواج مادية ؛ لكانت مما رأته الأعين،أو سمعت به الأذن،أو خطرت على قلوب البشر مرارا وتكرارا، " فَإِنَّ مُدْرَكَاتِ الْعُقُولِ مُنْتَهِيَةٌ إِلَى مَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ مِنَ الْمَرْئِيَّاتِ مِنَ الْجَمَالِ وَالزِّينَةِ، وَمَا تُدْرِكُهُ الْأَسْمَاعُ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَقْوَالِ وَمَحَامِدِهَا وَمَحَاسِنِ النَّغَمَاتِ، وَإِلَى مَا تَبْلُغُ إِلَيْهِ الْمُتَخَيَّلَاتُ مِنْ هَيْئَاتٍ يَرْكَبُهَا الْخَيَالُ مِنْ مَجْمُوعِ مَا يَعْهَدُهُ مِنَ الْمَرْئِيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ مِثْلَ الْأَنْهَارِ مِنْ عَسَلٍ أَوْ خَمْرٍ أَوْ لَبَنٍ، وَمِثْلَ الْقُصُورِ وَالْقِبَابِ مِنَ اللُّؤْلُؤِ، وَمِثْلَ الْأَشْجَارِ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَالْأَزْهَارِ مِنْ يَاقُوتٍ، وَتُرَابٍ مِنْ مِسْكٍ وَعَنْبَرٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ قَلِيلٌ فِي جَانِبِ مَا أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْمَوْصُوفَاتِ وَلَا تَبْلُغُهُ صِفَاتُ الْوَاصِفِينَ لِأَنَّ مُنْتَهَى الصِّفَةِ مَحْصُورٌ فِيمَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ دَلَالَاتُ اللُّغَاتِ مِمَّا يَخْطُرُ عَلَى قُلُوبِ الْبَشَرِ فَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) " (٦)

فلنأخذ مثلاً النعَم المتوفرة لدينا في العصر الحالي ونقارنها بالنعَم التي كانت متوفرة في عصر سيدنا محمد - ﷺ - والصحابة رضي الله عنهم.

مَن كان يتصوَّر أو يتخيل أن يقطع مسافات بعيدة بزمن قصير.

مَن كان يتصوَّر أو يتخيل أن تتحول الليالي المظلمة الدامسة إلى نهار مليئ بالأضواء الساطعة الخلابة.

مَن كان يتصوَّر أو يتخيل أن يتعرف ويتذوق ما لذَّ وطاب من طعام من الصين واليابان شرقاً إلى قارة أمريكا شرقاً.

مَن كان يتصوَّر أو يتخيل أن يعيش االإنسان على ذلك المستوى العالي من الرفاهية والنعيم.

وإذا تخيلنا أنَّ الصحابة وعباد الله الصالحين الأخيار الذين كانت حالتهم أسوأ من الكفار بكثير قد عادوا إلى الحياة وشاهدوا وعلموا بما نأكل، ونشرب، ونركب، لظنوا وتوهموا أننا سبقناهم إلى الجنة،بالإضافة إلى ارتدادهم عن إيمانهم،لأنَّ سيدنا محمد - ﷺ - لم يصدق وعده معهم،ففي الحديث النبوي الشريف:

حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) (٧)

إنَّ القرآن الحكيم استعمل في وصف نعيم الآخرة كلمات يجد فيها كل الناس الطمأنينة والارتياح،على قدر عقولهم ودرجاتهم،ليخاطب جميع طبقات بني الإنسان.. الصديق والعدو، وعلية القوم وأرذلهم،ليحدثهم في الأمور التي يتعذر فهمها على الناس، بلغة يفهمها ويطمئن إليها العامة، وينتفع بها الخاصة، ويقتنع بها الأعداء.

لنمعن في النظر والتأمل والتفكير في قوله تعالى في القرآن المجيد:

{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى } محمد ٤٧ / ١٥

أنَّى للعاقل المفكّر المتدبّر للآيات القرآنية أنْ يتخّذ الإسلام ديناً له،ألا يقف وقفة مفكّر ليسأل كيف يشجع ويبشّر الإسلام بشيء في الجنة وهو محرّم في الدنيا ؟ وكأنَّ الجنة مكان للأهواء النفسانية المنحطة – معاذ الله – !!

كيف يقبل إنسان عاقل فكرةً مفادها: أنْ يُكافئ أبٌ ابنه الحبيب والمدلل في المستقبل بشيء كان قد مَنَعَه عنه وهو صغير ؛ لأنه يؤذيه ؟ مثل أنْ يقول له: إذا نجحتَ في الجامعة وأصبحتَ طبيباً سأشتري لك المخدِّرات والأفيون التي تتمناها ...!!

مَنْ ظنَّ أن الجنّة عبارة عن موجودات هذه الدنيا فظنه باطل،فالنهر هو " " اَلنَّهْرُ الْأُخْدُودُ الْجَارِي فِيهِ الْمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ مَادَّةِ نَهَرَ الدَّالَّةِ عَلَى الانْشِقَاقِ وَالاتِّسَاعِ وَيَكُونُ كَبِيرًا وَصَغِيرًا. وَأَكْمَلُ مَحَاسِنِ الْجَنَّاتِ جَرَيَانُ الْمِيَاهِ فِي خِلَالِهَا وَذَلِكَ شَيْءٌ اجْتَمَعَ الْبَشَرُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَنْفَسِ الْمَنَاظِرِ لِأَنَّ فِي الْمَاءِ طَبِيعَةَ الْحَيَاةِ وَلِأَنَّ النَّاظِرَ يَرَى مَنْظَرًا بَدِيعًا وَشَيْئًا لَذِيذًا،، وَأَوْدَعَ فِي النُّفُوسِ حُبَّ ذَلِكَ " ؛ ولذلك فإنَّ: " اللَّهُ تَعَالَى أَعَدَّ نَعِيمَ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى نَحْوِ مَا أَلِفَتْهُ أَرْوَاحُهُمْ فِي هَذَا الْعَالَمِ فَإِنَّ لِلْإِلْفِ تَمَكُّنًا مِنَ النُّفُوسِ وَالْأَرْوَاحِ بِمُرُورِهَا عَلَى هَذَا الْعَالَمِ عَالَمِ الْمَادَّةِ اكْتَسَبَتْ مَعَارِفَ وَمَأْلُوفَاتٍ لَمْ تَزَلْ تَحِنُّ إلَيْهَا وَتَعُدُّهَا غَايَةَ الْمُنَى وَلِذَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهَا النَّعِيمَ الدَّائِمَ فِي تِلْكَ الصُّوَرِ " (٨)

إذا انتبهنا إلى الحكمة التي استعملها القرآن الكريم،حكمة استخدام الكلمات المألوفة للإنسان في دنياه ومعاشه، نجد أنَّ الآية الكريمة تعني أنَّ للمؤمنين جنات ذات ظل ظليل، وأنهاراً جارية، ولبناً سائغاً لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وعسلاً مصفى من الشوائب، وخمراً نقية لا تسكر، مطهرة للقلوب.. وكأنَّ الله سبحانه وتعالى يودُّ أنْ يقول: إن الأشياء التي يعدُّها الناس غير المؤمنين بالجنة متاعاً ويعتزون بها هي أحط من النعم التي يتمتع بها المؤمنون في الجنة،وأؤكد لكم بأنَّ أنهاركم التي تنعمون بها يأسن ماؤها ويتعفن، أما أنهار المؤمنين فلا يأسن ماؤها،وإن الجنات التي تسعدون بها في الدنيا ليست بنعمة حقيقية، لأن النعمة كل النعمة هي نعمة أهل الجنة الأخروية التي لن يصيبها الخراب،وإن الخمر الذي تستلذون بها في هذه الدنيا إنما هي رجس وآفة تعطل العقل، أما الخمر التي يهبها االله المؤمنين فهي تشحذ العقل وتورث الطهارة والتقوى،كما أنَّ العسل الذي تفتخرون به تشوبه الشوائب، ولكن المؤمنين يأكلون في الجنة عسلا مصفى،وإن الأزواج والرفاق الذين تتباهون بهم غير طاهرين،ولكن االله يعطي المؤمنين في الجنة أزواجاً ورفقاء طاهرة.

إنَّ خمر الدنيا وخمر الآخرة شيء آخر تماما.. وكذلك نعم الجنة لها أسماء نعم الدنيا، ولكنها تختلف عنها كل الاختلاف.. ويراد بها النعم الروحانية دون النعم الجسمانية،وهذه المعاني السامية البينة لا يدركها ولا يبلغ كنهها إلا كل من يتخلص ويتخلى عن التعصب للأفكار والمعتقدات التي تدَّعي بوجود أنهار من الخمر في الجنة،الخمر المحرَّم في الدنيا على المسلمين.

معنى قوله تعالى: {وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ} الطور: ٥٢ / ٢٠

يصف القرآن الكريم جانباً آخر من الجنة فيقول الله تعالى في كتابه العزيز:

{مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ } الطور: ٥٢ / ٢٠

قال ابن كثير في تفسيره: " وَزَوَّجْناهُمْ بِحُورٍ عِينٍ أي: وجعلنا لهم قَرِينَات صَالِحَات وَزَوْجَات حِسَانًا مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. "(٩)

وقال محمد متولي الشعراوي: " معنى {وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ} أي: قرناهم بالحور العين، والفعل زوّج يتعدَّى بنفسه تقول: زوَّجتُ فلاناً فلانة، لأن الزواج هنا

مصلحة متبادلة يتمتع بها الزوج والزوجة معاً." (١٠)

يعتقد كثير من الناس أنَّ الجنة تعني الملذات المادية والمتع الجسدية، فآيات القرآن تتحدث عن وجود أزواج لأهل الجنة بما يومئ إلى علاقات جنسية تثير الشهوة،واستثارة الشهوات الجنسية في الحياة الآخرة التي تبعث على الاعتراض ؛ لأن الغرض الأساسي من الاتصالات الجنسية هو التناسل وحفظ النوع، فما الحاجة إلى ذلك في الجنة؟

إنَّ الإغراء بالنعم المادية دليل على أن القرآن يقول ببقاء الجسم المادي للإنسان بعد الموت،كما أنَّ تقديم القرآن للنعم المادية جزاءً للإيمان غير مقبول لأنَّ ذلك مخالفٌ للعقل ،فالمؤمن العاقل المفكر المدبِّر لا يؤمن بتلك الوعود المزخرفة التي تؤدي إلى إيمان كاذب ،إيمان مصبوغ بالطمع،ولا يمكن أن يوصف إيمانه بالإيمان الحقيقي و الكامل،و لإدراك مدى بطلان هذه الاعتقادات ينبغي أن نمعن النظر في صورة الجنة كما يقدمها القرآن الحكيم.

لقد صرح القرآن بحقيقة الجنة،وقدم لنا الأساس الذي ندرك به ما جاء في القرآن عن صفاتها ونعيمها فكلمة " أزواج " وَرَدَت في القرآن الكريم في غير موضع،وفي كل موضع تحمل مدلولاً تنفرد به ؛ لأنه يختص بها وفقاً لموقعها في الجملة،فماذا تعني تلك الكلمة ؟ ففي لسان العرب:

الزوج الفرد الذي له قرين. والزوج: الاثنان. وعنده زوجا نعال وزوجا حمام ؛ يعني ذكرين أو أنثيين.

وقيل: يعني ذكرا وأنثى،ولا يقال: زوج حمام لأن الزوج هنا هو الفرد،وقد أولعت به العامة.

قال أبو بكر: العامة تخطئ فتظن أن الزوج اثنان،وليس ذلك من مذاهب العرب،إذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا،في مثل قولهم: زوج حمام،ولكنهم يثنونه فيقولون: عندي زوجان من الحمام،يعنون ذكرا وأنثى،وعندي زوجان من الخفاف،يعنون اليمين والشمال،ويوقعون الزوجين على الجنسين المختلفين نحو الأسود والأبيض والحلو والحامض، ويجمع الزوج أزواجا وأزاويج. (١١)

لنعد إلى تفسير ابن كثير،هناك نسخة أخرى محققة لصاحب التفسير نفسه،ولكن هناك اختلاف في الجملة،وقد جاءت على النحو الآتي: " وَجَعَلْنَاهُمْ قَرِينَات صَالِحَات " (١٢) ! بالتأكيد هذه الجملة غير صحيحة من الناحية النحوية لأنَّ المعنى يفسد،ومن ذلك يتَّضح أنَّ التصحيف قد أصاب النسخة،وهذا أمر طبيعي لأنَّ الله سبحانه وتعالى لم يتعهَّد بحفظ تفاسير القرآن،هذا من جهة،ومن جهة أخرى فإنَّه لايعقل أنْ يكون ابن كثير العلامة الحافظ المحدِّث الفقيه الذي قال عنه ابن حجر: " كان كثير الاستحضار،حسن المفاكهة،سارت تصانيفه في البلاد في حياته،وانتفع بها الناس بعد وفاته،ولم يكن على طريق المحدثين في تحصيل العوالي وتمييز العالي من النازل ونحو ذلك من فنونهم،وإنما هو من محدثي الفقهاء. " (١٣) قد أخطأ في إسناد ضمير المفعول به ؟

فهل كان من الواجب أنْ يقول: " جعلناهن قرينات صالحات " ؟

هل كان يقصد بعودة الضمير " هم " إلى كلمة " الأزواج " ؟ لأنَّ ابن كثير في حديثه وتفسيره لـ " مُتَّكِئِينَ " قال: " عن ثابت قال: بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة،عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من الكرامة والنعيم،فإذا حانت منه نظرة فإذا أزواج له لم يكن رآهن قبل ذلك،فيقلن: قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا." وإذا كان كذلك فما منعه من استعمال الضمير " ها " ؟ أي: أن يعامل جمع التكسير " أزواج " معاملة التأنيث المفرد،كقوله تعالى: { وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً } التوبة: ٩ / ٧٢

هل يصحُّ استعمال الضمير " ها " هنا " ؟

أعتقد أنَّ أيَّاً من التفاسير السابقة للآية الكريمة غير مقبول،وكذلك غيرها من التفاسير العديدة التي لا تَعُدُّ ولا تحصى،والتي تنهج وتسير على الطريقة نفسها ؛ لأنَّ العرب تقول: " زوجته امرأة وتزوجت امرأة. وليس من كلامهم: تزوجت بامرأة،ولا زوجت منه امرأة. "

وقال ابن منظور: " وقال الله تعالى: { وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ } ،من قوله تعالى: { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ } ؛ أي وقرناءهم. " (١٤)

وفسَّر القرطبي قوله تعالى: {وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ } "أَيْ قَرَنَّاهُمْ بِهِنَّ" (١٥)

كما هو ملاحظ فإنَّ الفعل زوّج يتعدَّى بنفسه للمفعول مباشرة،أي: لا يتعدى بواسطة حرف الجر" الباء "، وإنما الفعل " قرَنَ " هو الذي يتعدى بواسطة حرف الجر " الباء "

وكما وَرَدَ في لسان العرب:

"القرين: صاحبك الذي يقارنك، وقرينك: الذي يقارنك والجمع قرناء. "

"القرين: المصاحب. والقرينان:أبو بكر و طلحة رضي الله عنهما ; لأن عثمان بن عبيد الله،أخا طلحة،أخذهما فقرنهما بحبل فلذلك سميا القرينين. وورد في الحديث: (إن أبا بكر وعمر يقال لهم القرينان)،وفي الحديث: (ما من أحد إلا وكل به قرينه)، أي: مصاحبه من الملائكة والشياطين وكل إنسان،فإن معه قرينا منهما،فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه. ومنه الحديث الآخر: فقاتله فإن معه القرين،والقرين يكون في الخير والشر." (١٦)

"وتزاوج القوم ازدوجوا: تزوج بعضهم بعضا صحت في ازدوجوا لكونها في معنى تزاوجوا،وامرأة مزواج كثيرة التزوج والتزاوج ؛ قال: والمزاوجة والازدواج: بمعنى. وازدوج الكلام وتزاوج أشبه بعضه بعضا في السجع،أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى زوج الشيء بالشيء وزوجه إليه: قرنه." (١٧)

قال ابن الجوزي في تفسير قوله تعالى: { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ } الزخرف: ٤٣ / ٧٠: "وفي أزواجهم قولان: أحدهما: زوجاتهم،والثاني: قرناؤهم " (١٨)

من الملاحظ أنَّ ابن الجوزي قال: " قولان " ولم يقل: " معنيان "،هذا أولاً

ثانياً: لم يقل: قريناتهم،وإنما قال: قرناؤهم.

وبناءً على ماتقدم؛ المراد من الزوجين في قوله تعالى: {ولهم فيها أزواج مطهرة} أن لهم رفقاء من جنسهم يحققون معهم كل نوع من الازدهار والراحة،فالمقصود هو: الأرواح أو القرناء المطهرة.

إذن معنى زوجناهم في هذه الآية هو الإزدواجية،جعلهم زوجًا زوجًا،اثنين اثنين،ازدواجية الذكر بالأنثى، وازدواجية الأنثى بالذكر، لا زواج من أجل إنجاب الأولاد كما هو في الدنيا،ازدواجية خاصة بالنعيم المقيم،لأن أزواجنا ذكورا كانوا أو إناثاً قد يكونون أو قد يكنّ من أصحاب النار.

وقد جاءت أمثلة كثيرة على ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى،فزوجتا نوح ولوط عليهما السلام في النار،وعكس ذلك امرأة فرعون التي دعت ربها قائلة: { رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ } التحريم: ٦٦ / ١١

ولأنَّ القرآن الكريم آياته كريمة وهو قرآنٌ حكيم أيضاً وآياته محكمة أيضاً فإنَّ الله سبحانه وتعالى يخبرنا أننا سوف ندخل الجنة نحن، وآباؤنا، وذريتنا، وإخواننا، وأزواجنا. إذا صلحت أعمالنا،وتوَّجنا إيماننا بالعمل الصالح ،لأنَّ الجنة تنال بالإيمان الحقيقي الصادق،والدرجات تستحق بالأعمال الصالحات.

قال الله تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} الرعد: ١٣ /٢٣ ،أي: " يُجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَحْبَابِهِمْ فِيهَا مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَهْلِينَ وَالْأَبْنَاءِ، مِمَّنْ هُوَ صَالِحٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِهِمْ ." (١٩)

مجيء كلمة "" أزواج" بمعنى التناسل في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة:

ربَّ سائلٍ يسأل هل وَرَدَت كلمة " زواج" بهذا المعنى فقط ؟ وإذا وَرَدَت في مواضع أخرى من القرآن الكريم هل من قرينة أو دليل يهتدي إليه قارئ القرآن فيعرفُ المعنى المقصود ؟

ففي قوله تعالى: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} النبأ: ٧٨ / ٨

"يعني ذكرا وأنثى يتمتع كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْآخَرِ وَيَحْصُلُ التَّنَاسُلُ بِذَلِكَ " (٢٠)

وقوله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا } الروم: ٣٠ / ٢١

" أَيْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ إِنَاثًا يَكُنَّ لَكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا. "(٢١)

إذن نجد أنَّ " الْأَزْوَاجُ جَمْعُ زَوْجٍ يُقَالُ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لِأَنَّهُ جَعَلَ الْآخَرَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُفْرِدًا زَوْجًا،وَقَدْ يُقَالُ لِلْأُنْثَى زَوْجَةٌ بِالتَّاءِ،وَوَرَدَ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ فِي الْبُخَارِيِّ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهَا زَوْجَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يَعْنِي عَائِشَةَ. " (٢٢)

ومن هذا المنطلق فإنَّ ذلك يعني أنَّه من واجب الرجل أنْ يحُثَّ زوجته على أنْ تكون امرأة صالحة، وكذلك المرأة من واجبها أنْ تحُثَّ زوجها على أنْ يكون رجلاً صالحاً، في الدنيا التي يعيشان فيها،لأنهما إذا رغبا في أن يكونا مجتمعين في الجنة أيضاً،فعلى كل واحد منهما أن يبذل جهده ليجعل زوجه صالحا.. لئلا يفترقا في الآخرة.. فيكون أحدهما في الجنة والآخر في النار، وهذا المعنى من أروع التعاليم لنيل الطهارة الروحانية في الدنيا.

معنى قوله تعالى: {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} الرحمن: ٥٥/ ٥٦

إنَّ فكرة أنْ يكون للزوج زوجٌ له تملك جمالاً أخَّاذاً،شابة،صغيرة،في مقتبل عمرها،يحبُّها حباً عظيماً،وهي في الوقت ذاته تبادله هذا الحب،بل تحبه أكثر مما

يحبها هو،تشاركه في أفكاره ومعتقداته وأحلامه،لا ترى رجلاً غيره،ولا تهوى نفسها إلا هو،هذا أقصى بل منتهى ما يتمناه أيُّ رجل في العالم،والسعادة التي تتأتيه من ذلك الحب، لا يعادلها أيُّ شيء آخر في الدنيا،ولتقريب تلك الصورة صورة المتعة المتبادلة بين الزوجين اللذين يتبادلان هذا الحب العظيم والإخلاص الذي ليس له حدود،شبه لنا الله سبحانه وتعالى قرينات الأزواج في الجنة ووصفها بـ { قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ } الرحمن: ٥٥/ ٥٦، وفي تفسير قوله تعالى: " قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ " قال الطبري:

"هنّ النساء اللاتي قد قُصِرَ طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا ينظرن إلى غيرهم من الرجال."

" قَصُر طرفهنّ عن الرجال، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ."

" قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم. "

" لا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ، تقول: وعزّة ربي وجلاله وجماله، إن أرى في الجنة شيئا أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجَك. " (٢٣)

رحِمَ الله الشيخ محمد متولي الشعراوي،فقد قال: " أما في تزويج الحور العين فهي مصلحة من جانب واحد، فالمؤمن في الجنة يتمتع بالزواج بالحوراء، أما هي فليس لها متعة في ذلك. " (٢٤)،فلو كان حياً ماذا سيكون رأيه في كلام الطبري: " الحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجَك. " ؟

وللوصول إلى معنىً للآية أكثر دقة ووضوحاً فقد قال ابن كثير:

"وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ تَقُولُ لِبَعْلِهَا: وَاللَّهِ مَا أَرَى فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْكَ،وَلَا فِي الْجَنَّةِ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ،فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَكَ لِي وَجَعَلَنِي لَكَ " (٢٥)

أما ابن عاشور فقد فسَّر قاصرات الطَّرْف بأنها: " كَائِنَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَكَائِنَةٌ عَلَى الْفُرُشِ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ قَالَ تَعَالَى: وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً " (٢٦)

وهذا الكلام يقودنا إلى الحديث النبوي الشريف:

(حدثنا عبد بن حميد. حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله أدع الله أن يدخلني الجنة. فقال يا أم فلان! انّ الجنة لا تدخلها عجوز. قال: فولت تبكي فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول: إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْراباً.) (٢٧)

بعد إمعان النظر في الآية الكريمة، وبعد قراءة االتفسيرين والحديث الشريف قراءة متأنية ومتفهمة،وبعد الاعتقاد بأنَّ المعنى الصحيح والسليم لـ " الأزواج المطهرة " هو القرناء والرفقاء الطاهرة، يمكن أنْ نفهم أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد أنْ يُقرِّبَ لنا الصورة المليئة بالحب والمتعة التي سينشدها وسينالها المؤمنون حين يدخلون الجنة،فتلك الصورة تشبه صورة الفرح والسعادة المتحصلة لدى كل زوجين محبين يعيشان في هذه الدنيا،تلك الصورة يعجز الخيال عن تصورها في الدنيا ،كيف ذلك ؟ هذا شيء لا يعلمه إلا الله.

االله تعالى ليس بحاجة إلى زوج:

القرآن يقرر أن االله تعالى ليس بحاجة إلى زوج، أما كل شيء آخر فهو بحاجة إلى زوج. وبناء على هذا فإن جميع الناس هم بحاجة إلى زوج سواء أكانوا رجالاً أم نساءً،أما نوعية هذا الزوج فلا يعلم حقيقته إلا االله تعالى، وسوف ينكشف للإنسان عندما يدخل ا لجنة.

وهذا ما قرره وأكَّده القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ.} الذاريات: ٥١ / ٤٩ ،أي: " وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ أَيْ: جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ أَزْوَاجٌ: سَمَاءٌ وَأَرْضٌ،وَلَيْلٌ وَنَهَارٌ،وَشَمْسٌ وَقَمَرٌ،وَبَرٌّ وَبَحْرٌ،وَضِيَاءٌ وَظَلَامٌ،وَإِيمَانٌ وَكُفْرٌ،وَمَوْتٌ وَحَيَاةٌ،وَشَقَاءٌ وَسَعَادَةٌ،وَجَنَّةٌ وَنَارٌ،حَتَّى الْحَيَوَانَاتُ،جِنٌّ وَإِنْسٌ،ذُكُورٌ وَإِنَاثٌ،وَالنَّبَاتَاتُ،وَلِهَذَا قَالَ: {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} أَيْ: لِتَعْلَمُوا أَنَّ الْخَالِقَ واحدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ. " (٢٨)

## للمؤمنين جنتان: واحدة في الدنيا،وأخرى في الآخرة

يخطئ الناس حين يقرؤون القرآن ويعتقدون أن كلمة " جنة " تعني دار النعيم أو الخلد فحسبُ،بل إنَّ القرآن يقصد جنة الدنيا تارةً التي نعيش فيها،ويقصد الدار الأخرى بعد المات تارةً أخرى.

قال الله تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ } الرحمن: ٥٥/ ٤٦

قال الطبري في تفسيره:

- "لمن اتقى الله من عباده فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه - جنتان، يعني بستانين. "
- "وعد الله جلّ ثناؤه المؤمنين الذين خافوا مقامه، فأدَّوا فرائضه الجنة. "

- "خاف ثم اتقى، والخائف: من ركب طاعة الله، وترك معصيته."
- "هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر مقام ربه فينزع."
- "الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان."
- "الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها."
- "الذي إذا همّ بمعصية تركها."
- "هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله."
- "يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه."
- "إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله."
- "إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار."
- "إن لله مقاما قد خافه المؤمنون." (٢٩)

إنَّ تفسير الطبري واضح لا لبس فيه ولا غموض،فالآية تعني أنَّ للمؤمنين جنتين: واحدة في الدنيا،وأخرى في الآخرة،للذين يخافون ربهم،فيبتعدون عن ارتكاب المعاصي،وعما نهى الله سبحانه وتعالى ،ويطيعون الله ورسوله بأقوالهم وأفعالهم،سراً وعلانية.

ولإدراك معنى الآية الكريمة،ولأنَّ آيات القرآن الكريم آيات محكمة تكمل بعضها بعضاً، فإنَّ قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} الملك: ٦٧ / ١٢ هو المعنى المقصود والمطلوب،أي: " يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّنْ يَخَافُ مَقَامَ رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِذَا كَانَ غَائِبًا عَنِ النَّاسِ، فَيَنْكَفُّ عَنِ الْمَعَاصِي وَيَقُومُ بِالطَّاعَاتِ حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عَنْهُ ذُنُوبَهُ وَيُجَازَى بِالثَّوَابِ الْجَزِيلِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» فَذَكَرَ مِنْهُمْ رَجُلًا دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ" (٣٠)

وفي الحديث النبوي الشريف:

(حَدَّثَنَا بَكْرٌ قَالَ: نا عَمْرُو بْنُ هَاشِمٍ الْبَيْرُوتِيُّ قَالَ: نا سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي كَرِيمَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أُمِّهِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ أَمِ الْحُورُ الْعِينُ؟ قَالَ: «بَلْ نِسَاءُ الدُّنْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ كَفَضْلِ الظِّهَارَةِ عَلَى الْبِطَانَةِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَبِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: «بِصَلَاتِهِنَّ وَصِيَامِهِنَّ وَعِبَادَتِهِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَلْبَسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَهُنَّ النُّورَ وَأَجْسَادَهُنَّ الْحَرِيرَ، بِيضُ الْأَلْوَانِ، خُضْرُ الثِّيَابِ، صُفْرُ الْحُلِيِّ مَجَامِرُهُنَّ الدُّرُّ، وَأَمْشَاطُهُنَّ الذَّهَبُ، يَقُلْنَ: أَلَا نَحْنُ الْخَالِدَاتُ فَلَا نَمُوتُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ فَلَا نَبْؤُسُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلَا نَظْعَنُ أَبَدًا، أَلَا وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ فَلَا نَسْخَطُ أَبَدًا، طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَانَ لَنَا.) (٣١)

معنى قوله تعالى: {عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} الحجر: ١٥ / ٤٧

إنَّ الذي يخاف الله تعالى يهيىء الله له أسباب الجنة في هذه الدنيا كما يهيؤها له في الآخرة أيضاً ،لكن هناك شرط اشترطه الله سبحانه وتعالى في قوله: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ } الحجر: ١٥ / ٤٧ ،أي: " لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره مِنْ غِلٍّ "(٣٢) لذا،فمن واجب جميع المسلمين خاصة،والناس عامة،ألا يكنوا في قلوبهم ضد أحد من غل ولا بغض ،ويومئ الله سبحانه وتعالى في قوله:{عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} إلى كونهم إخواناً متحابين، لأنَّ المحبة هي التي تجعل الإنسان يجلس مع صاحبه وجهاً لوجه،ليتمتع بالنظر إلى محياه،هذا من جهة،ومن جهة أخرى فقد ركَّز القرآن الكريم في غير موضع، وبتعبيرات شتى على جلوس أهل الجنة على السرر،كما في قوله تعالى في الآية السابقة: {مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ} الطور: ٥٢ / ٢٠ ؛ ليبين لنا الله سبحانه وتعالى أنَّ كل إنسان يكون في الجنة هو بمثابة الملك،متحرراً من حكم الآخرين،إذ لا حكم يومئذ إلا لله الذي لا يمثل حكمه ثقلاً على الإنسان،بل يزيده عزاً وشرفاً،لأنَّ طاعته لله تعالى هي التي تمنحه الحرية الحقيقية،وقد أكَّد الله عزَّ وجل على هذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم،حيث أعلن أنَّ لأهل الجنة لهم ما يشاؤون،بمعنى أنه ما من أمنية يتمنونها إلا وسوف تتحقق، وأنَّ أدنى الناس منزلة في الجنة هي خمسون ضعفاً من ملك أعظم ملوك الأرض،وكأنَّ كل واحد منهم سوف يمارس حكمه وقانونه في دائرته الخاصة به وهذا هو الملك والحكم بعينه،وفي الحديث النبوي الشريف:

(عن الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ سَأَلَ رَبَّهُ مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: رَبِّ كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ؟ وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ:

رَضيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ لَهُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ، وَمِثْلُهُ،وَمِثْلُهُ،فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِه، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاَهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ،غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) (٣٣)

ما أروع ذلك الشعور... شعور لا يعادله أي شيء آخر غي الدنيا ،هذا الشعور الرائع لن يتحقق ولن يعيشه أي إنسان في هذه الدنيا،بل سيعيشه في الآخرة،وسيتحقق له في الجنة،فما من إنسان يعيش في هذه الدنيا إلا وتذوق مرارة الألم من التحكم به من الآخرين،مرارة القهر والظلم،فعلى صعيد الأسرة هناك مثلاً: تحكم الآباء والأمهات الذين يُكرِهونَ أبناءهم على فعل الجرائم،كتحريض الأب لابنه ؛ حين يطلب منه قتل شقيقته بدافع الشرف،أو حين يطلب منه القتل بدافع الثأر. وعلى صعيد المجتمع هناك تحكم رؤساء العمل بمرؤوسيهم ،فيستغلونهم أبشع استغلال،حيث يحولونهم إلى عبيد يستغلون جهدهم وعرقهم مقابل أجور زهيدة،وهناك الذين يدانون بجرائم لم يقترفوها،فيزجون في غياهب السجون،فمنهم من يقضي نحبه فيها،ومنهم من يُحكم عليه بالإعدام فيُساق إليه مكرهاً ، مخلفاً وراءه العار والدمار لأهله وذويه وأقاربه،وأما على صعيد الدول فالدمار والخراب أكثر انتشاراً واتساعاً بين المجتمعات،وكلنا نعلم علم اليقين،بل عين اليقين ماذا يعني أنْ تتحكم الدول العظمى بالدول الصغيرة الضعيفة.

أما عباد الله الصالحون الذين جاهدوا جهاداً كبيراً و عانوا معاناة كبيرة في الطاعة والعبادة،وبذلوا أقصى ما يستطيعون للابتعاد عن إغواءات الشيطان البرَّاقة فقد بشَّرهم الله سبحانه وتعالى بالجنة ،ووعدهم بتخليصهم من تلك الهجمات الشيطانية،لتنعم قلوبهم بأمان كامل من أي تعب أو معاناة،ففي الحديث النبوي الشريف:

( عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُونَ يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.) (٣٤)

## المعنى الحقيقي للجنة :

إنَّ الحقَّ كلَّ الحق نعَمَ الجنة أسمى من أنْ يستوعبها عقل الإنسان،فبالتدبير في عالم المنام يستطيع كل إنسان أن يدرك أن هذه السنّة جارية أيضا في الآخرة، فكما أن المنام يحدث فينا تغييراً معيناً.. ويرينا الحالة الروحية في صورة مجسمة.. كذلك يحدث في ذلك العالم عالم الآخرة،فتتمثل يومئذ أعمالُنا ونتائجها في صور محسوسة، ويلوح على وجوهنا بوضوح كلُّ ما نكون قد استصحبناه من هذا العالم في صورة خفيّة،وكما أن النائم يوقن فيما يراه من تمثلات شتى بأنها أمور حقيقية، ولا يتوهم أبداً أنها تمثلات، كذلك يحدث في ذلك العالم، بل الواقع أن الله سوف يظهر قدرته الجديدة يومئذ بواسطة التمثلات.. لأنه تعالى هو القدرة الكاملة.

أدعوكم إلى الحذر من أنْ تفهموا معنى قوله تعالى في القرآن المجيد: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة: ٢ / ٢٥

أنَّ الله تعالى يبشّر المؤمنين الذين يقومون بأعمال صالحة، ولا يوجد فيهم ذرة من الفساد،وأنهم ورثة الجنة التي تجري خلالها الأنهار. وأنهم كلما ينالون من ثمار تلك الأشجار التي قد نالوا منها في الدنيا أيضا.. يقولون إنها نفس الثمار التي قد أوتيناها من قبل، لأنهم سيجدون هذه الثمار شبيهةً بالثمار الأولى.

فلو ظن أحدٌ أن الثمار الأولى تعني نعماً مادية من هذه الدنيا فلا شك أن هذا خطأ فاحش، وأنه مخالف تماما لمفهوم الآية ومغاير لمعناها البديهي،وإنما المراد الإلهي من الآية أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.. قد غرسوا بأيديهم جنةً، أشجارُها الإيمان،وأنهارُها الأعمال الصالحة، وسيأكلون من ثمار هذه الجنّة نفسها في الآخرة، وتكون ثمارها يومئذ أبرزَ صورةً وأحلى طعماً، وبما أنهم يكونون قد أكلوا من هذه الثمار من قبل في الدنيا بصورة روحانية، وتذوقوا حلاوة الإيمان الحقيقي،لذلك سوف يعرفون تلك الثمرات في الدار الآخرة،ويقولون: يبدو أنها نفس الثمار التي سبق أن أكلناها، حيث سيجدونها مشابهة لغذائهم الأول.

فالآية الكريمة المذكورة تبين

بصراحة أن الذين كانوا في الحياة الدنيا يتغذون بغذاء المحبة الإلهية.. سيُرْزقون هذا الغذاء يوم الآخرة رزقاً مجسماً، ولما كانوا قد ذاقوا لذة الحب والوداد.. وتعرفوا المذاق،لذلك ستتذكر أرواحهم ذلك الزمن الذي كانوا يناجون فيه حبيبَهم الحقيقي بحب ووَلَه، وكانوا يستمتعون بذكراه، منفردين في الزوايا والخلوات وظلمات الليل،فلا ذكر هنا للأغذية المادية أبداً.

**أسباب انتشار الاعتقادات الخاطئة والابتعاد عن المفاهيم القرآنية الصحيحة:**

١- وعد الله سبحانه وتعالى أنه سيحفظ القرآن العظيم من التحريف أو الضياع ،وليس هذا فحسبُ،بل أكَّد وتعهَّدَ ذلك بقوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر ١٥ / ٩

٢- لم يعد ولم يتعهَّد الله سبحانه وتعالى بحفظ الأحاديث النبوية الشريفة،والسنة المتبعة،فعلى الرغم من وجود الأسانيد المطولة التي ليس لها مثيل في الأديان الأخرى ؛ إلا أنه دخل إلى بعض الأحاديث النبوية الشريفة شيئاً من التحريف والتصحيف،على إجماع علماء المسلمين بذلك.

٣- إنَّ دخول التحريف والتصحيف يعود لأسباب عديدة ،منها: انتشار العالم الإسلامي إلى أقصى الصين شرقاً،وأوروبا غرباً،وهذا يعني دخول كثير من الناس غير الناطقين باللغة العربية بالإسلام،ولم تكن هناك بالمقابل تخطيطات وبرامج أو مدارس مهيأة لتعليم اللغة العربية،فتعليم اللغة العربية يقع على عاتق المسلم نفسه الذي تزوج بامرأة أجنبية ،ومن المعلوم أن اللغة العربية صعبة جداً،ومعانيها دقيقة جداً.

٤- إنَّ معاناة الشعوب الإسلامية عامة،والعربية خاصة،من الحروب والصراعات لفترة زمنية طويلة،هيَّأ المناخ المناسب لاستقبال ما خططته الثقافات الغربية،وخلق البيئة الخصبة لبناء طوابق من الجهل،فاختلطت وانقلبت المفاهيم الدينية الإسلامية،وانبهرت الشعوب الإسلامية بالحضارة الغربية بما أتت به من تنوع من إغراءات دنيوية.

٥- إنَّ القهر السياسي والاضطهاد وظلم الحكام للشعوب ولاسيما في البلاد الإسلامية،وعدم السماح للفرد باختيار ما يرغب من عقيدة سمح لبعض علماء الدين الخائفين من دينهم الذي اعتنقوه ومالت إليه قلوبهم،وفي الوقت ذاته هم خائفون على دينهم من عدم انتشاره سمحوا لأنفسهم التلاعب بالألفاظ لتقريب المعاني،إما إرضاءً لحكامهم الطغاة وإما إرضاءً لمصالحهم الشخصية التي ترتبط بعلاقاتاتهم مع أسرهم ومجتمعهم،بعيداً عن الطعن بمصداقية نيات هؤلاء العلماء.

٦ - لا ننسى أنَّ الإنترنت قد ساهم مساهمة كبيرة في انتشار الثقافات المبتذلة.

**الخاتمة:**

تحدَّث القرآن الكريم عن الجنة والجنات التي سيدخلها المؤمنون الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه،وصوَّرها لنا بصوَرٍ شتى، حيثُ تناولَت آيات القرآن الكريم جوانب كثيرة منها،لكن هذا البحث اقتصر على بعض من تلك الجوانب،منها: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ،وأنَّ اللَّه تَعَالَى أَعَدَّ نَعِيمَ الصَّالِحِينَ فِي الْجَنَّةِ عَلَى نَحْوِ مَا أَلِفَتْهُ أَرْوَاحُهُمْ،ومعنى قوله تعالى: {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى}،{وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}، ومجيء كلمة " أزواج " بمعنى التناسل في القرآن الكريم والسنَّة الشريفة ،وأنَّ االله تعالى ليس بحاجة إلى زوج،و أنَّ للمؤمنين جنتان: واحدة في الدنيا،وأخرى في الآخرة،ومعنى قوله تعالى: {قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} ،وقوله تعالى: {عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}،ثمَّ استنتجت المعنى الحقيقي للجنة.